مقدمة

عرفت الشبكة العمرانية للمدن الجزائرية إنتعاشا كبيرا مع الفتوحات العربية الإسلامية، وأنشأت الكثير من المدن وتوسعت على نمط مدن الحضارة العربية وتمدنها في مختلف المجالات ،مستمدة كيانها ومضمونها وروحها من الشريعة الإسلامية و الفقه مستجيبة بذالك للمقاييس الأساسية للفكر العمراني الإسلامي ، والوظائف المتنوعة و المنسجمة في شتى المجالات التي يتطلبها المجتمع الإسلامي، وقد تزايد عدد المدن ذات النشأة العربية الإسلامية العتيقة (القصور) مع تعاقب الدويلات التي حكمت الجزائر ،بإنتقال عواصم الحكم والإدارة من الشرق إلى الغرب ، ومن الشمال إلى الجنوب ، حيث إرتبط إنشاؤها في بادئ الأمر بقواعد عسكرية أقيمت في النقاط الإستراتجية ولكن سرعان ما إرتفعت إلى مدن تتجلى فيها السمات الأساسية للمدينة العربية الإسلامية .

أما فيما يخص المدن الصحراوية الصغيرة رغم أن بعضها عتيق وتعود نشأتها إلى مئات السنين ،ظلت تتخبط في عدة مشاكل. مثال ذلك مدينة متليلي الشعانبة والتي مازالت تتمتع بقصورها العتيقة والتي تعبر عن ذاكرة جماعية لسكان المنطقة وتعكس قيمهم و مبادئهم الاجتماعية ، حيث أصبح من الضروري الإهتمام بهذا الموروث العمراني القديم لإستغلاله من الجانب السياحي وإيجاد السبل الكفيلة لإدماجه في الحياة الحضرية للمدينة.

مدينة متليلي التي تعاني الكثير خاصة وأنها منطقة أثرية مصنفة وطنيا وعالميا والتي تزخر بتراث ذي تجربة إنسانية ألفية ،تكونت عبر القرون ،من تقاليد اجتماعية وفنون تقليدية وأسس تصميمية وتخطيطية أصيلة تتركز على معطيات فكرية ،عقائدية ،تراثية ،تاريخية ،بيئية ،مناخية ،واقتصادية معيشية . أضحت هذه التجربة الإنسانية من الماضي ،وهذا سيكون ضياعا للمنطقة ،وللجزائر جمعاء لأنها رصيد إنساني عالمي.

الاشكاليـــــــــــة

عرفت المدن القديمة بطابعها المعماري العمراني الخاص حيث أكسبها شهرة عالمية استقطبت باحثين في ميدان العمارة هذه المدن عرفت تحولات كبيرة سياسية واقتصادية واجتماعية ومرت بمراحل مختلفة تركت بصماتها واضحة على عمرانها ما جعل هذه القصور تعاني من عدة مشاكل أدت الى التخلي عن هذا النمط رغم قيمته العمرانية و هذا بسبب عدم ملائمتها لظروف العيش الحديث و استحالة ادخال تغييرات عليها كونها تراث عالمي لا يسمح المساس به، ما ترك بصمة واضحة على عمرانها وانتهت بحصيلة مختلفة من أنماط البناء تأثرت بثقافات متباينة:

- النمط التقليدي المحلي القديم.

- النمط شبه الأوروبي الحديث.

ونتج عن هذين النمطين نمط جديد كقصر سوايح الذي يحاول محاكاة النمط الحديث والاقتباس والمحافظة قدر ما يمكن على النمط والنموذج المحلي فولد أشكالا ووظائف جديدة واستعمالات مختلفة.

الا أننا نجد العديد من التساؤلات تطرح نفسها أمام الحداثة المعاصرة والنمط التقليدي المحلي :

1. هل يمكن ايجاد أو انشاء نمط قصور يواكب الحداثة و المعاصرة؟
2. ما هو التدخل العمراني الذي يمكن من خلاله ابراز القيمة العمرانية لقصر السوايح؟
3. كيف يمكن محاكات العصر بفكر الماضي للوصول الى تعمير يجمع بين ما هو تقليدي و ما هو حديث ؟
4. كيف يمكن الاستفادة من القصور الحديثة في تدعيم النشاط السياحي للمدينة؟

دوافع اختيار الموضع:

- ترجع أسباب اختيار الموضوع إلى مفهوم التحضر، فهو يعمل حتميا بالتأثير على الأنماط العمرانية والمعمارية والعادات والتقاليد، حيث نلاحظ ابتعاد شبه كلي عن التراث الثقافي في النسيج مع الظروف الطبيعية والمناخية للمنطقة.
- القيمة التاريخية والثقافية والسياحية التي تتميز بها مدينة متليلي
- إحساسا بالمشاكل التي يعاني منها السكان داخل القصر.
- قصد الحفاظ على الطابع المعماري الفريد من نوعه.
- كون المنطقة تحتل موقع إستراتيجي وهي عاصمة الجنوب تربط مختلف ولايات الوطن.
- الموضوع من المواضيع التي تهدف إلى إعادة الخصوصيات المعمارية و المناخية و العمرانية للمدن

- الفرضيات:

في محاولة استخلاص أهم الدوافع والأسباب التي أدت إلى التدهور الطابع العمراني و المعماري للمنطقة (القصور)، ومن خلال ما سنتطرق إليه في دراستنا لهذا الموضوع سنحاول دراسة الفرضيات التالية :

- العناصر العمرانية والمعمارية التي شيدت بها القصور لم تعد تساير المتطلبات الحالية، مواد البناء، الطرق الضيقة، نمط المسكن.....إلخ.
- إهمال الخصوصيات المعمارية و المناخية و العمرانية في التخطيط المجالي التي أدت إلى فقدان العمراني المميز والمعبر عن هوية كل مدينة صحراوية.

الأهداف:

الأخذ بعين الاعتبار توسع المدينة وتجديد العناصر المعمارية والعمرانية دون إلغاء الطابع التقليدي للمدينة و هذه الثوابت التي يجب المحافظة عليها و المتغيرات الحديثة التي يجب إدماجها، و التي تندرج تحتها أهداف ثانوية تتمثل في:

- التركيز على استخدام التقنيات الحديثة لشبكات تتلاءم مع طبيعة النمط المعماري للمنطقة.
- تثمين النمط المعماري للقصور الحديثة الذي يدمج بين الموروث الثقافي العتيق والهوية الحقيقية والشخصية المعنوية للمجتمع و كل ما هو عصري
- الاستغلال الأمثل لهذا النمط من القصور لدعم النشاط السياحي الصحراوي لمدينة متليلي الشعانبة.

منهجية العمل:

نظرا لأهمية موضوع البحث و النتائج المارد استخراجها منه و حرصا منا على تبيين توافق المخططات العمرانية مع النمط العمراني التقليدي للمنطقة تم التركيز على الجانب الوصفي التحليلي و من أجل إيضاح هذا مررنا بالخطوات التالية :

مرحلة البحث النظري :

حرصنا في هذه المرحلة على أخذ نظرة معمقة حول كل ماله علاقة بالموضوع من (تعاريف ومفاهيم للمصطلحات التقنية الخاصة به) و المستخرجة من كتب ومذكرات تخرج و مجموعة من الأبحاث وقد سمحت هذه المرحلة بإيضاح الإطار العام الذي تتركز عليه الدارسة.

مرحلة البحث التطبيقي :

إعتمدنا في هذه المرحلة على البحث الميداني والنتائج المستخرجة منه والمعطيات المحصل عليها من مختلف المؤسسات و الهيئات التقنية و غيرها مما يخدم التخطيط والمخططات العمرانية ونذكر من هذه المصالح : مديرية البناء و التعمير . • مديرية مسح الأراضي. • الوكالة العقارية. • البلدية . •

مرحلة التحرير وفرز المعلومات :

تتمثل هده المرحلة في التحليل وفرز المعلومات من اجل معرفة خصائص المخططات العمرانية ولتوضيح ذلك سطرنا ثلاث فصول :

الفصل الأول : اعطاء بعض التعاريف والمفاهيم وتحديد بعض المصطلحات لتدعيم المعلومات النظرية في انجاز هذه الدارسة، وقد حرصنا أن تكون مركزة و مرتبطة بالدارسة مباشرة

الفصل الثاني : تطرقنا الى التحليل العمراني للمدينة و دراسة أنماط العمران بالمدينة و معرفة خصائص كل نمط منها و تحديد ايجابياته و سلبياته ،كما أننا نحاول إبراز الإمكانيات والمؤهلات السياحية كما نتطرق الى دراسة نمط عمراني جديد وهو القصور الحديثة و معاينة بعض خصائص قصر تافيلالت. .

الفصل الثالث : عمدنا في هذا الفصل الى توضيح خصائص قصر السوايح و مدى تأثر النسيج العمراني الحديث بالنمط العمراني القديم لتثمينه هذا عبر مجموعة من التدخلات العمرانية لابراز قيمته العمرانية و الاستفادة منه عبر مشروع اعادة هيكلة مقترح